

مؤتمر التراث العربي المسيحي الثالث والعشرون  
بالمركز الثقافي الفرنسي بكنيسة سيّدة الكرمل للآباء الفرنسيين  
٧ شارع الوابور الفرنسي متفرّع من شارع ٢٦ يوليو بولاق أبو العلا  
الجمعة والسبت ٢٧ ، ٢٨ فبراير سنة ٢٠١٥ م  
الراهب القس أناسيوس المقاري

## البحث عن كتاب مفقود نُقل عنه كتاب "التّرتيب الطّقسي" للبابا غبريال الخامس

### المحتويات

٢	مقدّمة عامة
٤	أولاً: كتاب "التّرتيب الطّقسي" لا يشرح طقس القُدّاس الإلهي في الكنيسة البطريركيّة في القرن الخامس عشر
٤	• المثال الأوّل: الاستعداد لخدمة القُدّاس الإلهي
٤	• المثال الثّاني: اختيار الحمل
٥	• المثال الثّالث: رسم الحَمَل بعد الدّورة حول المذبح
٥	• المثال الرّابع: تغطية الحَمَل والكأس بلفافة وتغطية القرايين بالإبروسفارين
٥	• المثال الخامس: آداب الاستماع إلى الإنجيل المقدّس
٦	• المثال السّادس: طقس تقبيل الإنجيل بعد قراءته
٦	• المثال السّابع: القبلة المقدّسة
٦	• المثال الثّامن: رشومات القُدّاس الإلهي
٧	• المثال الثّاسع: بعد الاستدعاء الأخير للرّوح القُدّس على القرايين
٧	• المثال العاشر: القسمة المنفصلة
٧	• المثال الحادي عشر: عدم إعطاء المتناولين الأسرار المقدّسة في أيديهم
٨	• المثال الثّاني عشر: كيفيّة التّناول
٨	ثانياً: إنّ كتاب "سرّ الثّالوث في خدمة الكهنوت" ربما يكون أقدم زمنياً من كتاب "التّرتيب الطّقسي"
٨	• المثال الأوّل: أوشيّة (سر) الإنجيل Пречшот'нгит
٩	• المثال الثّاني: عن معنى رفع الإبروسفارين
٩	• المثال الثّالث: مرد الشّعب المصاحب لقول الكاهن: "القُدّسات للقديسين"
١٠	• المثال الرّابع: الرّشومات بين الجسد والدّم، منهما وإليهما
١٠	• المثال الخامس: مباركة الشّعب بالصّينيّة
١٠	خاتمة البحث
١١	تعقيبٌ لا بد منه

## مقدمة عامة

أشارك لأول مرة في مؤتمر للتراث العربي المسيحي يُعقد في المركز الثقافي الفرنسيسكاني بالقاهرة. ونظراً لما أسداه الآباء الفرنسيسكان من جهد مشكور في إحياء التراث العربي المسيحي، فقد آثرت أن أُلقي بعض الضوء على واحد من بواكير أعمالهم في هذا الشأن، وهو كتاب "الترتيب الطقسي" للبابا غبريال الخامس (١٤٠٩-١٤٢٧م)، والذي حققه تحقيقاً علمياً راقياً، طُيب الذكر، الأب ألفونس عبد الله الفرنسيسكاني، عن عدة مخطوطات لهذا الكتاب، وقد نُشر في القاهرة سنة ١٩٦٤م، ضمن مطبوعات المركز الفرنسيسكاني للدراسات المسيحية الشرقية، سلسلة دراسات شرقية مسيحية<sup>(١)</sup>.

ولاسيماً وأن كتاب "الترتيب الطقسي" قد أثر تأثيراً واسعاً في الممارسة الليتورجية الحالية للقدّاس الإلهي في الكنيسة القبطية، وذلك بعد أن قام القمص عبد المسيح المسعودي البراموسي (١٨٤٨-١٩٣٥م)، بنقله كاملاً تقريباً إلى كتاب الخولاجي الذي نُشر بالقاهرة سنة ١٩٠٢م، وهو الخولاجي الذي نقلت عنه كافة الخولاجيات التي ظهرت من بعده.

والموضوع الذي أودُّ أن أشارككم فيه الآن هو: هل ما أورده كتاب "الترتيب الطقسي" من ممارسات وشروحات طقسية للقدّاس الإلهي هو ما كان يُمارَس فعلاً في الكنيسة البطريركية في زمن البابا غبريال الخامس في القرن الخامس عشر الميلادي؟

إنّ الدّارس للممارسات الليتورجية للقدّاس الإلهي وشروحها على مدى السبعة أو الثمانية قرون الماضية، يلحظ أنّها واحدة في أساسياتها على مدى هذه القرون، بل ومن قبلها أيضاً، ولكنّه في ذات الوقت، يلحظ أيضاً تبايناً واضحاً بين ما يذكره القس أبو البركات بن كبر (١٣٢٤م) عنها في الباب السابع عشر من كتابه "مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة"<sup>(٢)</sup>، كآخر مصدر حفظ لنا الطقس القبطي القديم، وما يذكره البابا غبريال الخامس (١٤٠٩-١٤٢٧م) عنها في كتابه "الترتيب الطقسي".

هذا من جهة الممارسات الليتورجية للقدّاس الإلهي. وأمّا من جهة شرح هذه الممارسات الليتورجية، وما تشير إليه، فقد تضخّم بصورة مُلفتة، عمّا كانت عليه هذه الشّروحات الطقسية عند ابن كبر<sup>(٣)</sup>، حتى طغت هذه الشّروحات على الغاية العظمى من إقامة القدّاس الإلهي، وهي تمجيد الثالوث القدّوس الآب والابن والرّوح القدس، وتسيحه وشكره. ذلك لأنّ تمجيد الثالوث القدّوس، وإعلان وحدانيّة أقانيمه، هو غاية القدّاس الإلهي، على حدّ قول البابا أنناسيوس الرسولي: [هناك لاهوت واحد في ثلوث، وهناك مجد واحد للثالوث القدّوس]<sup>(٤)</sup>.

١- كتاب الترتيب الطقسي للبابا غبريال الخامس، لناشره الأب ألفونس عبد الله الفرنسيسكاني، مطبوعات المركز الفرنسيسكاني للدراسات المسيحية الشرقية، القاهرة، ١٩٦٤م.

٢- مخطوط رقم (عربي ٢٠٣) بالمكتبة الأهلية بباريس، وهو كتاب "مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة"، لابن كبر. وقد نشرت مكتبة الكاروز الجزء الأول منه، سنة ١٩٧١م، تحقيق الأب سمير خليل اليسوعي.

٣- كل ما يذكره ابن كبر (١٣٢٤م) عن هذه الشّروحات الطقسية، هو سنة شروحات على سبيل الحصر، هي:

- أن الشمامسة يروحون على المذبح بمراوح، مثال أجنحة الكارويم.

- أن لف قربانة الحمل بلفافة، هو مثال للفسد سيدنا يسوع المسيح في الأكفان واللفائف.

- تغطية المذبح بالإبروسفارين، مثلاً لتغطية القبر الذي وضع فيه جسد رب المجد بالحجر، وختمه.

- يقف القس في القدّاس على المذبح تجاه الشرق، والشّماس تجاهه إلى الغرب، لأنّ القس يخاطب الإله الذي قال النبي: «أسمع صوته من المشارق»، والشّماس يتلقّى عنه ويبلغ الشعب. وقد شهد الإنجيل المجيد أنّ مريم المجدلية إذ وافت القبر السيدي سحر القيامة الحية، أبصرت ملاكين جالسين في لباس أبيض، واحداً عند الرأس والآخر عند الرجلين، حيث كان جسد الرب يسوع موضوعاً.

- يُرفع الإبروسفارين مثلاً لرفع الحجر الذي دُحرج عن باب القبر، وطرح ربنا الأكفان واللفائف عن جسده الطاهر الشريف وقت قيامته.

- إذا أراد الكاهن أن يقسم الجسد المقدّس، يضع طرف إصبعه في الدّم الكريم من غير أن يُصلب فيه، ويرشم الجسد، كل قربانة على وجهها وظهرها وجانبها، إشارة إلى اتحادها في التقديس.

٤- ضدّ الأريوسيين ١٨:١ PG 26, 48.40-41

إذاً، كان وجود هذا الكم الكبير من الممارسات الليتورجية للقُدَّاس الإلهي وشروحها أيضاً في كتاب ”التَّرتيب الطَّقسي“، عمَّا يذكره ابن كَبْر في كتاب ”مصباح الظُّلمة وإيضاح الخدمة“ عنها، كان السَّبب وراء البحث عمَّا إذا كان ما يذكره البابا غُبريال الخامس هو الطَّقس الفعلي الذي كان يمارس فعلاً في كنيسة العذراء بحارة زويله في زمانه. لأنه ليس من المعقول أن يكون هذا التَّباین الكبير بين ابن كَبْر (+١٣٢٤م) والبابا غُبريال الخامس (١٤٠٩-١٤٢٧م) في مدَّة تبلغ قرابة قرن واحد من الزَّمان في منطقة كنائس مصر القديمة<sup>(٥)</sup>.

وكانت نقطة الفصل في ذلك، هو ما وجدته في كتاب آخر ظهر في نفس القرن الخامس عشر الميلادي، واسمه ”سِرّ الثَّالوث في خدمة الكهنوت“<sup>(٦)</sup>، عن شرح القُدَّاس الإلهي، لأحد عُلماء الكنيسة القبطية في العُصور الوُسطى.

فبمقارنة ما ورد في كلٍّ من كتاب ”التَّرتيب الطَّقسي“، وكتاب ”سِرّ الثَّالوث في خدمة الكهنوت“ عن القُدَّاس الإلهي، يتَّضح أنَّهما يتَّفقان تماماً في فقرات بكاملها، ثمَّ يتَّجه كلُّ واحد منهما اتجاهاً مغايراً في السَّرْد، ثمَّ يعودان يتَّفقان في حُمل أو فقرات بعينها، ثمَّ يفترقان في السَّرْد أيضاً، وهكذا. ومن هذا نعرف، أنه لو كانا كلاهما يدوَّنان طقس القُدَّاس الإلهي في زمانهما كما كان يمارس فعلاً، لما اختلفا فيما بينهما في سرد بعض الممارسات الطَّقسية على الأقل.

ومن هذا يتَّضح لنا أمران، الأمر الأوَّل هو أنَّ البابا غُبريال الخامس لم يكن يدوِّن ما هو قائم من زمانه من ممارسات ليتورجية في الكنيسة البطريركية آنذ، والأمر الثَّاني هو أنَّ البابا المذكور كان ينقل إلى كتابه ”التَّرتيب الطَّقسي“ من مصدر أقدم. وهذا المصدر الأقدم، كان بمثابة تجميع لممارسات ليتورجية ظهرت في عدَّة جهات متفرقة من أنحاء البلاد المصرية، وبضم هذه الممارسات إلى بعضها البعض في كتاب واحد، تضخَّمت، حتى صارت مغايرة لما كانت تمارسه فعلاً الكنيسة البطريركية في أوائل القرن الخامس عشر الميلادي. وتعبير أوضح، تضخَّمت عمَّا كانت تمارسه آية كنيسة في جهات مصر الواسعة على مدى خمسة عشر قرناً من الزَّمان.

وأحصر بحثي هنا في بندين، البند الأوَّل، هو أنَّ البابا غُبريال الخامس لم يكن يدوِّن طقس القُدَّاس المعروف في زمانه في الكنيسة البطريركية، بل كان ينقل إلى كتابه ”التَّرتيب الطَّقسي“ طقوساً مختلفة لجهات مختلفة في أنحاء البلاد للقُدَّاس الإلهي. والبند الثَّاني، هو أنَّ كتاب ”سِرّ الثَّالوث في خدمة الكهنوت“، لمؤلَّف مجهول من القرن الخامس عشر الميلادي، هو أقدم زمناً من كتاب ”التَّرتيب الطَّقسي“ للبابا غُبريال الخامس.

٥- كانت كنيسة العذراء (المعلِّفة) مقراً للبطريركية منذ زمن البابا خريستوذولوس (١٠٤٦-١٠٧٧م) وحتى زمن البابا ثيودوسيوس (١٢٩٤-١٣٠٠) أي قرابة قرنان ونصف من الزَّمان، باستثناء نصف قرن في زمن كل من البابا غُبريال الثَّاني بن ثريك (١١٣١-١١٤٥) ال ٧٠ والبابا يوانس الخامس (١١٤٦-١١٦٦) ال ٧٢ اللذان أقاما في كنيسة القُدَّيس مرقوريوس بمصر القديمة، والبابا كيرلس الثَّاني (١٠٧٨-١٠٩٢م) ال ٦٧ الذي جعل مقر البطريركية في كنيسة الملاك ميخائيل بجزيرة الرُّوضة، في الموضع المعروف بالمختارة.

ثمَّ انتقل المقر إلى كنيسة السيِّدة العذراء بحارة زويله في أيام البابا يوانس الثَّامن (١٣٠٠-١٣٢٠م) وهو البطريرك ال ٨٠ وظلَّ مقراً للبطريركية حتى إلى زمن البابا متاؤس الرَّابع (١٦٦٠-١٧٧٥م) ال ١٠٢ الذي نقل المقر إلى كنيسة السيِّدة العذراء بحارة الرُّوم.

٦- كتاب سِرّ الثَّالوث في خدمة الكهنوت، لأحد عُلماء الكنيسة القبطية في العُصور الوُسطى، لناشره جرجس فيلوتاؤس عوض، طنطا، ٣١ يناير ١٩٤٢م. وهذا الكتاب نشره النَّاشِر عن مخطوط وجده بالإسكندرية، وتاريخ نساخته هو ١٧ برمهاث ١٢٠٩ش/ ١٣ مارس ١٤٩٣م. ووجد مخطوطين آخرين حوزة المُعلِّم مرقس نعيم المتوفى سنة ١٨٩٦م. ومخطوطين آخرين محفوظين في مكتبة البطريركية بالقاهرة، الأوَّل برقم (لاهوت ١١٠/سميكة ٢٦٤) النَّص الثَّاسِع عشر، وهو يعود إلى القرن السَّادس عشر، وموَرَّخ (في ص ٧٤ وجه) بتاريخ ١٥٦٢م. والثَّاني برقم (لاهوت ٣٦٧/سميكة ٧٤٧) النَّص السَّادس. وبالبحث وحدث أنَّ تاريخ نساخته هذا المخطوط الأخير هو ١٧ برمهاث سنة ١٢٠٩ش. ممَّا يتَّضح معه أنه هو نفس المخطوط الذي وجده جرجس فيلوتاؤس عوض بالإسكندرية، ويبدو أنه انتقل فيما بعد إلى مكتبة البطريركية بالقاهرة.

انظر: مرقس سميكة باشا، بمساعدة يسي عبد المسيح أفندي، فهارس المخطوطات القبطية والعربية الموجودة بالمتحف القبطي والدار البطريركية وأهم كنائس القاهرة والإسكندرية وأديرة القطر المصري، الجزء الثَّاني، المجلد الأوَّل، القاهرة، ١٩٤٢م، ص ٣٤١ والأستاذ جرجس فيلوتاؤس عوض، وُلد في طنطا في ١٣ أكتوبر سنة ١٨٦٧م. وتبيَّح سنة ١٩٥٥م.

## أولاً: كتاب "الترتيب الطقسي" لا يشرح طقس القُدَّاس الإلهي في الكنيسة البطريركية في القرن الخامس عشر

لقد استطاع المؤلف مجهول الاسم لكتاب "سرّ الثالوث..."، أن يكشف لنا حقيقة غريبة غائبة، وهي أن كتاب "الترتيب الطقسي" وإن كان يتفق في كثير مما أورده من ممارسات وشروحات للقُدَّاس الإلهي، مع كتاب "سرّ الثالوث..."، إلا أنه كان يختلف معه بين الحين والآخر. وهذا يعني أن كلا الكتابين، كانا ينقلان من مصدر سابق عليهما وأقدم منهما، أي أن البابا غبريال الخامس، لم يكن شارحاً لطقس القُدَّاس المعروف في زمانه ومكانه، بل كان جامعاً لممارسات طقسية مختلفة من جهات مختلفة. ومن هنا كان الفرق الواضح بين ما يذكره البابا غبريال الخامس، وما يورده ابن كبر في شرحهما للقُدَّاس الإلهي.

وفيما يلي بعض الأمثلة التي توضح ذلك الأمر.

### • المثال الأول: الاستعداد لخدمة القُدَّاس الإلهي

كتاب "سرّ الثالوث..." (ص ٣، ٤)	كتاب "الترتيب الطقسي" (ص ٦٢)
"أول ما ينبغي للكاهن، أن يخدم القُدَّاس، فيلزمه قبل كل شيء، أن يكون طاهر النفس والجسد واللباس. والثاني أنه في وصايا القبة قال الله للنبى العظيم موسى:	"يبتدى الكاهن بتنظيف الجسد، وغسل الأيدي والأرجل. إن الله قال للنبى الشريف موسى:
قل لهرون أخيك أن يعمل في القبة حوضاً وصطلاً من نحاس وليمألهما ماءً، وكل من أراد الخدمة من بني لاوي، فليغسل يديه ورجليه قبل عبوره إلى القبة. وكل من لا يفعل ذلك، فتهلك تلك النفس من شعبها <sup>(٧)</sup> .	قل لهرون أخيك أن يعمل في القبة حوضاً وصطلاً من نحاس وليمألهما ماءً، وكل من أراد الخدمة من بني لاوي، فليغسل يديه ورجليه قبل عبوره إلى القبة. وكل من لا يفعل ذلك، فتهلك تلك النفس من شعبها <sup>(٧)</sup> .
فلهذا وضع محلصنا له المجد عندما وضع لنا سرّ الخدمة، وأعطانا الخبز والخمر، فتقدم آباؤنا <sup>(٨)</sup> الرُّسُل ووضعوا ذلك. وقد جعلوا اللقان <sup>(٩)</sup> في البيعة لغسل اليدين والرجلين قبل طلوع الهيكل...".	فلهذا وضع محلصنا له المجد عندما وضع لنا سرّ الخدمة، وأعطانا الخبز والخمر، فتقدم آباؤنا <sup>(٨)</sup> الرُّسُل ووضعوا ذلك. وقد جعلوا اللقان <sup>(٩)</sup> في البيعة لغسل اليدين والرجلين قبل طلوع الهيكل...".

### • المثال الثاني: اختيار الحمل

"سرّ الثالوث..." (ص ٦)	"الترتيب الطقسي" (ص ٦١، ٦٢)
"ينبغي للكاهن أنه إذا	"يبتدى الكاهن إذا
أراد الخدمة الطاهرة، فإنه يتقدم أولاً ينظر	أراد الخدمة الطاهرة، فإنه يتقدم أولاً ينظر
الخبز	القربان
الذي يُقدّمه إن كان	الذي يُقدّمه إن كان
مختمراً <sup>(١٠)</sup> .	مختاراً.
والخمر أيضاً كما	والخمر أيضاً كما
قال	قيل
فليكن	فليكن
حولياً	زكياً <sup>(١١)</sup>

٧- «وكلم الرب موسى قائلاً: وتصنع مرحضة من نحاس وقاعدتها من نحاس للاغتسال وتجعلها بين خيمة الاجتماع والمذبح، وتجعل فيها ماءً. فيغسل هرون وبنيه أيديهم وأرجلهم منها. عند دخولهم إلى خيمة الاجتماع يغسلون بماء لثلاث بموتوا. أو عند اقتراهم إلى المذبح للخدمة ليوقدوا وقوداً للرب، يغسلون أيديهم وأرجلهم لثلاث بموتوا. ويكون لهم فريضة أبدية، له ولنسله في أجيالهم» (خروج ٣٠: ١٧-٢١).

٨- "الترتيب الطقسي": الآباء.

٩- "الترتيب الطقسي": لقانا.

١٠- هذه الكلمة وردت في خمسة مخطوطات من كتاب "سرّ الثالوث...".

١١- يعود كتاب "الترتيب الطقسي" ليورد (ص ٦٤) صفة الحمل، بأن يكون "حولياً لا عيب فيه".

”التَّرتيب الطَّقسي“ (ص ٦١، ٦٢) | ”سَرَّ الثَّالوث ...“ (ص ٦)

لا عيب فيه.

وإذا اختاره الكاهن، | وأنه إذا اختاره،  
فليضعه على جناح الهيكل الأيسر عندما يقف ثم يتقدم  
يلبس آلة الكهنوت والخدمة والبدلة ...“.

#### • المثال الثالث: رشم الحَمَل بعد الدَّورة حول المذبح

يَتَّفَقُ كلُّ من كتاب ”التَّرتيب الطَّقسي“ وكتاب ”سَرَّ الثَّالوث ...“، على أن رشم الحَمَل يكون بعد دورة الحَمَل حول المذبح وليس قبلها. خلافاً للطَّقس الذي ساد حتى القرن الرَّابِع عشر الميلادي، حين كانت رشمات الحَمَل تتم قبل الدَّورة حول المذبح، كما يشرح كتاب ”مصباح الظُّلمة وإيضاح الخدمة“ لابن كَبَر ورقة (٢٠٥ هـ و ظ).

#### • المثال الرَّابِع: تغطية الحَمَل والكأس بلِفافَة وتغطية القرايين بالإبروسفارين

كتاب ”التَّرتيب الطَّقسي“ (ص ٦٩)	كتاب ”سَرَّ الثَّالوث ...“ (١٢) (ص ٩)
”يُغَطِّي (الكاهن) القُرْبانة في الصَّينِيَّة بلِفافَة، وكذلك الكأس يغطيه بلِفافَة، وذلك مثال لتكفين جسد المخلَّص عندما أنزلوه من على الصَّليب، ووضعوه في قبر. ثم بعد ذلك يغطيه بالإبروسفارين، وهو مثال الحجر الذي قلبوه على القبر المحيي فائض الحياة.“	”... ثم يضع (الكاهن) الحُبز ويغطيه، ويغطي الكأس، كما حنطوا السيِّد ووضعوه في القبر. والإبروسفارين هو مثال للحجر. وينزلون من على الهيكل هو مثال لعلق القبر وإقامة الحراس!!“

#### • المثال الخامس: آداب الاستماع إلى الإنجيل المقدَّس

الكلمات المكتوبة بالبنط الثَّقيل، هي ما ينفرد به كتاب ”سَرَّ الثَّالوث في خدمة الكهنوت“ (ص ١٥ وما بعدها)، والكلمات المكتوبة بين قوسين ( ) هي ما ينفرد به كتاب ”التَّرتيب الطَّقسي“ (ص ٧٤ وما بعدها).

”... وأما قوله قفوا بخوف (من) الله، وأنصتوا (لسماع إنجيل الله). فينبغي على كلِّ واحدٍ أن يقف، ولا يمشي، ولا يتكلَّم، ولا يشغل ذهنه بشيء، لأجل سماع كلام الله. ويكونوا ناصتين (ساجدين) خاضعين مُطرقين برؤوسهم إلى الأرض، بخوف ورعدة وهيبة ووفار، لتلاوة قول الإنجيل. ولا ينبغي لأحد من الشَّعب أن يتكلَّم، ولا يشغل ذاته بصلاة، ولا يمشي من مكان إلى مكان. وإذا عبر أحدٌ من باب البيعة، وسمع قراءة الإنجيل، يقف ولا يمشي، حتى يفرغ الذي يقرأه. فإنَّ (القارئ) الكاهن أمر بالوقوف والسُّكوت والسَّمع والطَّاعة لما يُقال، مثلاً لما كان<sup>(١٣)</sup> بنو إسرائيل، عندما كان موسى يقرأ عليهم التَّاموس، كانوا مُطرقين برؤوسهم، لئلا ينظروا (إلى) البهاء والثَّور (الذي على وجه موسى) اللَّذين كانا على وجهه، فإنه كان على وجهه برقع. فإنه كان عند قراءة التَّاموس، يكشف البرقع الذي على وجهه. فكانوا يخضعون برؤوسهم حتى لا ينظروا إلى وجهه. فإنَّ (كلَّ) من كان ينظر إلى وجهه يموت، لأجل مجد نور الرَّب الذي كان حالاً عليه. والتَّاموس لم يكن يقرأه إلاَّ الكاهن أو النَّبي. ولهذا فعل آباؤنا أن الإنجيل ما كان يقرأه إلاَّ الكاهن. وكذلك هو الآن عند سائر الطَّوائف، ما يقرأه إلاَّ الكاهن. فلماً وُضع الآن أنَّ الشَّماس يقرأه، صار الكاهن يقف ووجهه إلى الغرب دون الشَّعب كلِّه، حتى أن كلَّ واحد يخضع برأسه حتى لا ينظر إلى الكاهن ويخضع للإنجيل. فلذلك ينبغي للكاهن أن يقف ولا يمشي ولا يتكلَّم ولا يبتخر ولا يسعى. فإنَّ من تكلم ومشى، فإنه يصير كمثل داتان وأبرام لما عاندا موسى، وقصدا عمل الكهنوت، وتعرَّضا لهرون وبنيه، وصارا يشغلان أذهان الشَّعب، ويغلقان قلوبهم عن سماع قول الله لموسى ولهارون. (وكانوا يمشون بين الشَّعب

١٢- ولاحظ أن النَّص في كتاب ”سَرَّ الثَّالوث ...“ هو الأكثر اختصاراً ودقَّة. أي أنه الأقدم من نصِّ كتاب ”التَّرتيب الطَّقسي“.

١٣- ”مثلاً لما كان عليه ...“ ليستقيم المعنى.

ويغلظان قلوبهم على موسى وهارون). ولم يكونا يستحيان من موسى، ولا من الله، ولا من التأموس، الذي كان يقرأه. فأمر الله الأرض، ففتحت فاهها وابتلعتهما، هما وآبأهما وأبناءهما وماشيتهما، (فكافأهما الله بذلك). فلهذا (السبب) أمرنا آباؤنا أن لا يتكلم أحدٌ ولا يمشي (وقت القداس، ولا وقت الصلاة)، بل نُطرق رؤوسنا إلى الأرض، وننصت لسماع الإنجيل المقدس. وإن (القارئ) الكاهن إذا قال: 'قفوا وأنصتوا، فينبغي (للكاهن) أن لا يتكلم ولا يمشي، والشعب نظيره، يفعلون كذلك'.

#### • المثال السادس: طقس تقبيل الإنجيل بعد قراءته

يذكر كلٌّ من كتابي "الترتيب الطقسي" (ص ٧٥)، و"سرّ الثالوث ..." (ص ١٨) العبارة التالية: "وبعد ذلك يُقبّلون الإنجيل كقبولهم<sup>(١٤)</sup> قول الله".

#### • المثال السابع: القبلة المقدسة

كتاب "سرّ الثالوث ..." <sup>(١٥)</sup> (ص ٢٢)	كتاب "الترتيب الطقسي" (ص ٧٧)
"... ثم يأمرهم (الشماس) بتقبيل بعضهم بعضاً. الكاهن يُقبّل الكاهن، والشماس يُقبّل الشماس، والشعب مثله يُقبّلون بعضهم بعضاً،	"وعند قول الشماس Δρισπαζεσθε يُقبّل الكهنة بعضهم بعضاً، والشماس بعضهم بعضاً.
ونقض العتيقة بالحديثه.	فهذا هو مثال الصلح <sup>(١٦)</sup> الذي جعله الرب <sup>(١٧)</sup> بين السمائيين والأرضيين، فإن الرسول يقول إنما جاء يصلح بين السمائيين والأرضيين.
ومن كان في نفسه من أخيه أمر، ففي هذا الوقت يتركه ويُقبّله، ولا يكون قبوله له بغش كمثل يهوذا الذي قبّل السيد بغش ودغل ومكر.	فمن كان في نفسه من أخيه أمر، إن كان ضروري أو غير ضروري، ففي هذا الوقت يتركه له، ويُقبّله، ولا يكون تقبيله له بغش ودغل ومكر، فيصير مثل يهوذا الذي قبّل السيد بغش ودغل ومكر.
وليشاركوا	ثم إنهم إذا صفحوا وقبّلوا بعضهم بعضاً بمحبة وثية خالصة، فيصيروا مشتركين
	مع الملائكة في التقديس الذي هو قُدوسٌ قُدوسٌ قُدوسٌ رب <sup>(١٨)</sup> الصباؤوت، السماء والأرض مملوءتان <sup>(١٩)</sup> من مجدك المقدس".

#### • المثال الثامن: رشومات القداس الإلهي

يتفق كلٌّ من كتاب (الترتيب الطقسي) (ص ٨٠)، وكتاب (سرّ الثالوث ...) (ص ٢٣)، على أن مجموع الرشومات في القداس الإلهي هي ثمانية عشر رشماً على القرايين، وثمانية عشر رشماً على الخدام والشعب. وهو نفس ما يرد ذكره أيضاً عند ابن كبر.

١٤- "الترتيب الطقسي": لقبولهم.  
وصياغة كتاب "سرّ الثالوث ..." هي الأكثر دقة. ويلزم التنويه هنا إلى أن تقبيل الإنجيل بعد قراءته، كان للإكليروس والشعب، ثم اقتصر على الإكليروس وحدهم في القداسات، وعلى الشعب في نهاية صلوات رفع البحور.  
١٥- ولاحظ أن النص في كتاب "سرّ الثالوث ..." هو الأكثر اختصاراً ودقة. أي أنه الأقدم من نص كتاب "الترتيب الطقسي".  
١٦- "الترتيب الطقسي": للصلح.  
١٧- "الترتيب الطقسي": - الرب.  
١٨- "الترتيب الطقسي": الرب (خطأ).  
١٩- "الترتيب الطقسي": مملوءة.

### • المثال التاسع: بعد الاستدعاء الأخير للروح القدس على القرايين

كتاب "سرّ الثالوث..." (ص ٢٤، ٢٥)	كتاب "التّرتيب الطّقسي" (ص ٨٠، ٨١)
فإنّ من حين قوله: هذا الخبز وهذه الكأس، فصار الحكم للجسد	إنّ المسيح صار بين يدي الكاهن ذبيحاً. فمن ها هنا، فما صار للكاهن سلطان أن يبارك.
فإنّ الكبير إذا كان حاضراً، فلا يجوز لأحد أن يبارك، كما أنّ البطريك <sup>(٢٠)</sup> إذا كان حاضراً، لا يجوز لأحد أن يبارك. وإذا صار <sup>(٢١)</sup> إلى هذا، صار الخبز جسداً، وصار <sup>(٢٢)</sup> الخمر دماً، فصار لا يجوز لأحد أن يبارك.	
مثال. إنّ بني إسرائيل قالوا <sup>(٢٣)</sup> لموسى النبي: 'كيف يكلمك الله ونحن ما يكلمنا؟ مثل ما أنت من بني إسرائيل، نحن أيضاً بنوه، لم لا يكلمنا؟'. وأنّ النبي صعد إلى الجبل وصلّى. وأنّ الباري سبحانه، أمره أن يقول لهم: إنهم ينظفون <sup>(٢٤)</sup> ثيابهم، ويغتسلون، وبعد ثلاثة أيام يصعدون إلى الجبل، وهو يكلمكم <sup>(٢٥)</sup> . وأنه ناداهم بذلك، وصعدوا إلى الجبل. وأنّ الجبل ظهر عليه مجد الله. وقد تدخّن الحجر، وقامت الرّعود والبروق والزلازل، وكان النبي واقفاً، فجعل يشير إليهم بيده اليسرى، ويشير بيده اليمنى إلى <sup>(٢٦)</sup> الله تعالى. وقال لهم: 'تقدّموا لتسمعوا'. وأنهم لما رأوا مجد الله، هلعوا وخافوا <sup>(٢٧)</sup> ووقعوا <sup>(٢٨)</sup> على الأرض، وصاحوا وقالوا <sup>(٢٩)</sup> : 'نحن نسمع لك من الآن. وكلّ ما قال لك <sup>(٣٠)</sup> : نحن سامعوه <sup>(٣١)</sup> ، ومن الآن قد تُبنا ممّا قلناه'. فارتفع الضباب والقيام والنيران. فلهذا فعلت آباؤنا هذا الأمر، أنّ الكاهن يُصلّب يديه يشير أنه <sup>(٣٢)</sup> حاضر بيننا، وأنهم لا يخالفون الكهنة في أمورهم، ويكونون تحت طاعتهم.	

### • المثال العاشر: القسمة المنفصلة

بعد ما سبق ذكره مباشرة، يشرح كلٌّ من كتاب "التّرتيب الطّقسي" (ص ٨١، ٨٢)، وكتاب "سرّ الثالوث..." (ص ٢٦، ٢٧) القسمة المنفصلة، بفروقات طفيفة للغاية، ممّا يعني مجدداً أهمّما ينقلان من مصدر أقدم منهما. ومن ثمّ، فلم يكن البابا غبريال الخامس (١٤٠٩-١٤٢٧ م) سوى ناسخ لمخطوط، وليس مؤلفاً لكتاب يشرح به طقس الكنيسة البطريركية في زمانه.

### • المثال الحادي عشر: عدم إعطاء المتناولين الأسرار المقدّسة في أيديهم

كتاب "سرّ الثالوث..." (ص ٣٠)	كتاب "التّرتيب الطّقسي" (ص ٨٩)
وعدم إعطاء الكاهن	"وعدم الكاهن أنه لا يعطي"
الجسد للشعب في أيديهم مثل بعض	
الأُمم المؤمنين،	الطوائف،
فهو لأجل قوله لمريم:	

٢٠- "التّرتيب الطّقسي": + أو الأسقف.

٢١- "التّرتيب الطّقسي": وصل.

٢٢- "التّرتيب الطّقسي": و.

٢٣- "التّرتيب الطّقسي": مثلاً لبني إسرائيل لما قالوا.

٢٤- "التّرتيب الطّقسي": لهم: أن ينظفوا.

٢٥- "التّرتيب الطّقسي": يكلمهم.

٢٦- "التّرتيب الطّقسي": فجعل يشير إليهم بيده اليمنى نحو.

٢٧- "التّرتيب الطّقسي": + كلهم.

٢٨- "التّرتيب الطّقسي": ووقعوا (خطأ).

٢٩- "التّرتيب الطّقسي": + لبني الله موسى.

٣٠- "التّرتيب الطّقسي": + الله.

٣١- "التّرتيب الطّقسي": نسمعه.

٣٢- "التّرتيب الطّقسي": ويشير أن الله.

كتاب "الترتيب الطَّقسي" (ص ٨٩)	كتاب "سرّ الثَّالوث ... " (ص ٣٠)
لا تلمسي،	لا تقربيني،

فإني بعد لم أصعد إلى أبي. امض إلى إخوتي وقولي لهم: إني صاعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم، فهو يدل أنهم أخذوا جسده، وصاروا واحداً معه.

### • المثال الثاني عشر: كيفية التناول

كتاب "الترتيب الطَّقسي" (ص ٨٨)	كتاب "سرّ الثَّالوث ... " (ص ٣٠)
"أنّ المتناول يكون مكشوف الرأس. وإذا تناول لا يلتفت بظهره، لكن يتراجع إلى خلف قليلاً قليلاً. فإنّ يهوذا لمأ تناول الخبز من السيّد، ولّى بظهره خارجاً، مملوءاً من غش الشيطان، فكفانا الله من ذلك".	وإذا أخذ (المتناول) الجسد والدّم فلا يدور بظهره إلى الكاهن، لئلا يصير مثل يهوذا، أنه لما أخذ الخبز ولّى خارجاً بمكر، بظهره، فلا نتشبه به. بل إذا أخذنا، نخضع برؤوسنا ونمشي على جانب المكان".

واضح ممّا سبق ذكره من أمثلة، أن الكتاين المذكورين ينقلان من مصدر أقدم منهما، ولكنّه ليس هو طقس القدّاس في الكنيسة البطريركيّة.

### ثانياً: إنّ كتاب "سرّ الثَّالوث في خدمة الكهنوت" ربما يكون أقدم زمنياً من كتاب "الترتيب الطَّقسي"

إنّ استطعنا أن نثبت أنّ كتاب "سرّ الثَّالوث ... " هو أقدم زمنياً من كتاب "الترتيب الطَّقسي"، فهذا ربما يعني أنّ هذا الكتاب الأخير، كان ينقل من كتاب "سرّ الثَّالوث ..."، إذا لم يكن كلاهما كانا ينقلان من مصدر أقدم منهما. والأمثلة التّالية توضّح هذه الجزئيّة من البحث.

### • المثال الأوّل: أوشية (سر) الإنجيل Πρερωονηνητ

يذكر كتاب "الترتيب الطَّقسي" (ص ٧٢)، كتقرير حال قائم، بأنّ هذه الأوشية تُقال سرّاً، فيقول: "في تفسير الإنجيل عربيّاً، يقول الكاهن المقدّس الذي هو الخديم: Πρερωονηνητ (أي: أيها الطويل الأناة ...) وإن كان له شريك، فهي له إلى آخرها".

وأما كتاب "سرّ الثَّالوث ... " فيشرح لنا (ص ١٨، ١٩) التّاريخ الطَّقسي لهذه الأوشية، متأسّفاً على ضياع الطَّقس القديم لها، وشاهداً على ذلك، فيقول:

"ثمّ ينبغي للكاهن عند فراغ قراءة الإنجيل، يقول Πρερωονηνητ والخديم<sup>(٣٣)</sup> يجاوبه، والشَّعب يقول ياربُّ ارحم. وأمّا في وقتنا هذا، صار الكاهن يمشي ويتكلّم ويبيخّر القسوس الواقفين، ويتكلّم ويقول لهم، وهم يقولون له، جواب البخور. ولم يقل أحد: ياربُّ ارحم. وأكثرهم يقول الأوشية وحده، ولم يجاوبه خديم، وهذا لا يجوز. فإنّ هذه الأوشية طلبتة وسؤال، وهو يأمرهم بالوقوف والسُّكوت. وفي الصّوم يقولها (الكاهن) والنّاس يجاوبونه: ياربُّ ارحم".

وفي المخطوطين (س)<sup>(٣٤)</sup> لكتاب "سرّ الثَّالوث ... " واللذين وجدتهما القمّص أرمانبوس حبشي شتا البرماوي (١٨٩٤-١٩٣٩م)، نقرأ (ص ١٩ من الكتاب المذكور):

٣٣- أي الشَّماس الخديم.

٣٤- المخطوطتان (س) هي بحسب تسمية جرجس فيلوثاؤس عوض، هما مخطوطتان وجدتهما القمّص أرمانبوس حبشي شتا البرماوي لكتاب "سرّ الثَّالوث ..."، وهما مجهولتا المكان والزمان، ويختلفان في المبني عن الكتاب الذي نشره جرجس فيلوثاؤس، أي أن ناسخهما كان أمامه كتاب (سرّ الثَّالوث ...) ولما قام بنساختهما أضاف من عنده إضافات لم تكن في أصل المخطوط الذي ينقل عنه.



”... فلهذا أمر آباؤنا وحذرونا ونهونا عن الحديث مع أحد، وعن المشي مع أحد. والكاهن إذا بخر كاهناً مثله، يقول: أسألك أن تُصلي عليّ، وتذكر حقارتي أيها الأب. فيجاوبه ذلك: الرَّبُّ يحفظ كهنتك مثل هارون وسمعان وزكريا، وتمتته. فحصل الكلام والمخالفة لما أمر في قوله: ’قفوا وأنصتوا‘. وينقض هو قوله ووصيته منه وبه. ويمشي ويتكلم ويختر ويعمل ثلاث خطايا ومخالفات لنص العتيقة والحديثة وواضعيها. وإنما يكون القسيس يقف عند قراءة الإنجيل المقدس دائماً، ووجهه للغرب، حتى تفرغ قراءته، ثم يقبله الكهنة، ثم سائر الشعب، دليل ذلك على قبول قول الله بالسَّمع والطَّاعة بما يُقرأ عليهم، وأن يكونوا متمسكين بما فيه، ويمشوا في وصاياه وأوامره، التي قرئت عليهم.

وأما قول الكاهن الصَّلَاة التي هي Πιρερωοι'νηητ فلا ينبغي له قولها والإنجيل يُقرأ، فإنها طلبه وصلوات. فإنه يقول: اذكر ياربُّ عبدك فلان وفلان، فيجاوبه الشَّماس ويقول: صلُّوا من أجل كذا وكذا. يقول الشعب: ياربُّ ارحم. فإذا قالها والإنجيل يُقرأ والنَّاس وقوف وناصتين كأمره لهم، فمن يجاوبه ويُصلي؟ أو إن جاوبوه، فمن يسمع كلام الإنجيل؟ فالواجب أن يقولها ويُصلي بها على ما يعمل في الصَّوم المقدس“.

### • المثال الثاني: عن معنى رفع الإبروسفارين

يقول كتاب ”سرّ الثالوث...“ (ص ٢١): ”وأما رفع الإبروسفارين، فهو مثال لرفع الحجر عن باب القبر“. وهو هنا ينقل من مصدر قديم، حيث يقول ابن كبر في (ورقة ٢٠٧ج) ما يلي: ”يرفع الإبروسفارين مثلاً لرفع الحجر الذي دُحرج عن باب القبر. وطرح ربنا الأكفان واللفائف عن جسده الطاهر الشَّريف، وقت قيامته“. أما كتاب ”التَّرتيب الطَّقسي“ (ص ٧٧)، فيكتفي بالقول: ”يقول الشَّماس إبروسفارين“، بدون أيِّ شرح.

### • المثال الثالث: مرد الشعب المصاحب لقول الكاهن: ”القدسات للقدسين“

يذكر كتاب ”سرّ الثالوث...“ (ص ٢٨): ”وعند قوله القُدس للقدسين يقولون: اذكرنا ياربُّ إذا جئت في ملكوتك. قُدوس الأب، قُدوس الابن، قُدوس الرُّوح القُدس، الثالوث المقدس“.

وهذا المرد في موقعه الأصيل هذا من القُداس، نجده عند الأنبا ساويرس ابن المقفَّع (حوالي ٩١٥-١٠٠٠م) في القرن العاشر الميلادي، فيقول: ”يرفع (الكاهن) الجسد على يديه إلى فوق جميع الشعب، كما ارتفع عنهم على خشبة الصَّليب. وينادونه جميعهم كما ناداه اللص اذكرني ياربُّ إذا جئت في ملكوتك، فيستحقون منه الغفران لجميع خطاياهم، والتَّنعُّم في فردوسه... الخ“ (٣٥).

أما كتاب ”التَّرتيب الطَّقسي“ (ص ٨٩)، فيورد نفس كلمات هذا المرد بنصِّها، ولكن ليس في موقعه القديم من القُداس، حيث ينقله إلى نهاية القُداس، بعد مناولة الشعب ورجوع الكاهن إلى الهيكل. فيذكر أنه بعد مناولة الشعب، الرِّجال ثم النساء، يعود الكاهن إلى الهيكل، ويصعد إليه ثم يلتفت إلى الغرب، ويرشم الشعب مثل ما فعل أولاً<sup>(٣٦)</sup>، وهم يخضعون إلى الأرض قائلين: ”اذكرنا ياربُّ إذا جئت في ملكوتك. قُدوس الأب، قُدوس الابن، قُدوس الرُّوح القُدس، الثالوث المقدس“.

إذاً، فنداء الشعب ”اذكرني - أو اذكرنا - ياربُّ إذا جئت في ملكوتك“، كان من صُلب مردَّات الشعب الأساسيَّة في القُداس الإلهي عقب قول الكاهن: ”القدسات للقدسين“، كما في الطَّقس القبطي القديم، والذي يشهد له كتاب ”سرّ الثالوث...“، وليس كما في الطَّقس المستحدَث، والذي يذكره كتاب ”التَّرتيب الطَّقسي“.

٣٥- الأنبا ساويرس ابن المقفَّع، الدر الثمين في إيضاح الدِّين، مرجع سابق، ص ١٢٧

٣٦- وهذا هو الرِّشم الثالث بالصَّينيَّة على الشعب بعد عودته إلى الهيكل، حيث سبق أن ذكَّر (ص ٨٨، ٨٩) أنه يرشم الرِّجال بالصَّينيَّة قبل مناولتهم، ثم يرشم النساء بالصَّينيَّة قبل مناولتهن. وهذا مخالف لما سبق أن ذكره هو نفسه، بأن الرِّشومات تكون فقط ١٨ رِشماً على الشعب والخدَّام. حيث يخاطب الكاهن (ص ٨٠) قائلاً له: ”فاعتد ذلك من غير زيادة ولا نقص. وما عدا ذلك، ليس له قاعدة وجهل من فاعله!“.

أما كتاب ”سرّ الثالوث...“، فيذكر (ص ٣١): ”وإذا فرغ أن يقرب الشعب، يبارك عليهم بالصَّينيَّة“.

### • المثال الرابع: الرُشومات بين الجسد والدم، منهما وإيهما

يذكر كتاب "الترتيب الطقسي" (ص ٨٣، ٨٤) ستة رشومات بين الجسد والدم، منهما وإيهما<sup>(٣٧)</sup>. أمّا كتاب "سرّ الثالوث ... " (ص ٢٧، ٢٨) فلا يوضّح أنها ستة رشومات، مكتفياً بالقول بما نصّه: "وعند قوله القُدس للقديسين ... وتصلبه بالجسد والدم على الجسد جميعه، أي أنّ الجسد والدم صارا مع اللاهوت واحداً ... وهذه الصُّلبان لم تُعد من تلك الصُّلبان الستة والثلاثين".

وهذا يوافق الطقوس القديم، الذي يرد عند ابن كبر في شرحه للقُداس، فنقرأ عن هذه الرُشومات الستة، في ورقة (٢٠٩) و (٢١٠) ما يلي: "إذا أراد الكاهن أن يقسم الجسد المقدس، يضع طرف إصبعه في الدم الكريم من غير أن يُصلب فيه، ويرشم الجسد، كلّ قربانة على وجهها وظهرها وجانبها، إشارة إلى اتحادهما في التّقدس. (و) إذا رفع الإسبديقون، وصرخ قائلاً: 'القُدس للقديسين'، يُصلب به في الدم الكريم ثلاثة صُّلبان، ويُصلب به على الجسد ثلاثاً، ثمّ يضعه في الكأس". وواضح هنا أنها ليست ستة رشومات على وجه التّحديد.

### • المثال الخامس: مباركة الشعب بالصينّية

يقول كتاب "الترتيب الطقسي" (ص ٨٨، ٨٩) ما يلي: "يلتفت الكاهن حامل الصينّية، بجسد المسيح، إلى الغرب، وينزل خارج المذبح، ويبارك الشعب مثال الصُّليب بالصينّية ... وإذا تكامل قربان الرّجال، يرشم بالصينّية أيضاً على الشعب مثال الصُّليب ... وإذا دخل الكاهن أيضاً إلى بيت النساء، يرشم أيضاً بالصينّية عليهن ... وإذا رجع إلى المذبح ويصعد إليه فوق، يلتفت أيضاً إلى الغرب، ويرشم الشعب مثل ما فعل أولاً"<sup>(٣٨)</sup>.

وأما كتاب "سرّ الثالوث ... " فلا يورد كلّ هذه الرُشومات بالصينّية، مكتفياً برشم واحد بها<sup>(٣٩)</sup>، فيقول (ص ٣٠، ٣١) ما يلي: "وأما الكاهن إذا أراد أن يدور ويقرب الشعب، فليحمل الصينّية ويشير بها إلى الدّوران على الهيكل وهو واقف موضعه، ويدور، فهو مثال على أنّ سيّدنا ظهر لتلاميذه والأبواب مغلقة ... وإذا فرغ أن يُقرب الشعب، يبارك عليهم بالصينّية، ويدور، مثلاً لظهوره للرُّسل"<sup>(٤٠)</sup>.

### خاتمة البحث

فهل هذا المصدر القديم المفقود الذي نبحت عنه، هو من وضع القمّص إرميا النّاسخ (تبيّح قبل سنة ١٤٩٣م)؟ فهذا القمّص المذكور هو أوّل من بدأ في جمع الممارسات الطقسيّة المختلفة في كثير من جهات مصر الواسعة، وربّتها ونسّقها بحسب رؤيته، ونسخها في أوّل مخطوط من المخطوطات التي صارت تُعرف منذ ذلك الوقت باسم "ترتيب البيعة"، وهو المخطوط رقم (طقس ٧٣) بمكتبة البطريكية بالقاهرة، والذي تمّت نساخته سنة ١٤٤٤م. ولعلّ بحثاً أعمق يقود إلى أدلة أكثر يقيناً.

\* \* \*

٣٧- وهو نفس ما يذكره القمّص عبد المسيح البراموسي في حولاجي سنة ١٩٠٢م، فيقول (ص ٢١٨ حاشية ٢): "أعلم أنّ رشومات القُداس المقرّرة في كُتب البيعة حسب استعمال الآباء الكهنة العارفين، هي اثنان وأربعون رشمًا. منها ١٨ على الشعب والخدّام والكاهن الخادم، و ١٨ على الخبز والخمر و ٦ قبل القسمة وفي أوّل الاعتراف على الجسد والدم منهما وإيهما". حيث يشرح هذه الستة رشومات ص (٣٨٥، ٤٠٣) من الحولاجي، كما يلي باختصار: يضع الكاهن إصبعه في الدم الكريم، ثمّ يرفعه قليلاً ويرشم به رشمًا واحداً. ثمّ يرشم بالدم الذي يصبغه على الجسد الطاهر رشمين من فوق وأسفل (الآن رشمنا ثلاثة رشومات). ثمّ يأخذ الإسبديقون ويرشم به الدم الكريم (الرشم الرابع)، ثمّ يغمسه في الدم. ثمّ يعود به ويرشم به على الجسد (الرشم الخامس)، ثمّ يعود به إلى الكأس ويرشم به على الدم (الرشم السادس). ثمّ يضعه في الكأس مقلوباً. ٣٨- وهذه الرُشومات هي زيادة عن الـ ١٨ رشمًا على الشعب والخدّام، التي سبق أن حدّدها نفس هذا الكتاب، مضيفاً بقوله (ص ٨٠): "فاعتد ذلك من غير زيادة ولا نقص. وما عدا ذلك، ليس له قاعدة وجهل من فاعله!!"

٣٩- ولكنّه فتح المجال أمام كتاب "الترتيب الطقسي" ليجعل منها أربعة رشومات.

٤٠- هنا الكارثة التي ضربت طقوس صلواتنا في مقتل بدءاً من القرن الخامس عشر الميلادي، حين تحوّلت الممارسات الطقسيّة إلى تمثيلية يقف الشعب إزاءها موقف المتفرّج! فانفتحت واحدة من أعلى غايات القُداس الإلهي، وهي الشّركة الحقيقيّة القائمة بين الإكليروس والشعب.

## تعقيبٌ لأبد منه

بعد أن انتهتُ من إلقاء ملخّص هذه المحاضرة على الحاضرين في المؤتمر، طلب أبونا باسيليوس صبحي، كاهن كنيسة العذراء بالزيتون بالقاهرة، مداخلة، قال فيها: إنه قد ورد في كتاب "التّرتيب الطّقسي" نفسه، أنّ البابا غبريال الخامس كان ينقل من كراريس عملها القمّص إرميا النَّاسخ، لمنفعة ابنه المُعلّم سر كيس، والذي صار كاهناً في كنيسة القيامة، ولمدّة ست سنوات تقريباً.

ولما عُدت إلى كتاب "التّرتيب الطّقسي" للبابا غبريال الخامس، وجدتُ تحت عنوان: "ترتيب تكريز الهياكل الجُدُد" ما يلي بنصّه<sup>(٤١)</sup>: "ترتيب تكريز الهياكل الجُدُد، وذلك في يوم الأحد المبارك الثامن من شهر بشنس سنة ألف ومائة سبعة وعشرين للشهداء الأَطهار (٣ مايو سنة ١٤١١م) على يد السيّد الأب البطريرك المكرم أنبا غبريال، الثامن والثمانون من الآباء البطارقة بالكرسي المرقسي في بيعة الشّهيد العظيم مرقوريوس بدرب البحر بمصر المحروسة، بحضور الآباء القسوس والأراخنة والشمامسة والشعب الأرثوذكسي. والاعتماد في ذلك كالشّرح المكتوب فيها، بعد أن أحضر الأب البطريرك المشار إليه عدّة تراتيب، وحصل الاتفاق على هذا التّرتيب، ورُسم بعمله وعُمل في تاريخه... ونقل هذا التّرتيب من نسخة نقلها [...] من كراريس يذكر فيها أنّها بخط إرميا بن القمّص خادم القيامة الشّريفة، لولده الحبيب الشّماس المكرم سر كيس (سر كيس) كتبه له، ليطلع فيه وقت الاحتياج. والله المجد والوقار"<sup>(٤٢)</sup>.

ثمّ عُدت إلى مقدّمة شرح القُدّاس الإلهي كما يشرحه كتاب "التّرتيب الطّقسي"، نقلاً عن المخطوط رقم (عربي ٩٨) بالمكتبة الأهلبيّة بباريس، فوجدت هذه المقدمة، هي نفس المقدمة السّابق ذكرها والخاصة بترتيب تكريز الهياكل الجُدُد، ولكن بدون ذكر اسم القمّص إرميا النَّاسخ، حيث نقرأ ما يلي بنصّه: "[نبتدي] بنسخ كتاب ترتيب من الأب البطريرك أنبا غبريال الثامن والثمانين في عدد الآباء البطارقة بالكرسي المرقسي بحضور الآباء القسوس والأراخنة والشمامسة والشعب الأرثوذكسي، والاعتماد في ذلك كالشّرح المكتوب بعد أن أحضر الأب البطريرك المشار إليه عدّة تراتيب، وحصل الاتفاق على هذا التّرتيب، ورُسم بعمله، وعُمل في تاريخه، وذلك في يوم الأحد المبارك الثامن من شهر بشنس ١١٢٧ للشهداء الأَطهار، رزقنا الله بركاتهم وأعاننا على العمل بوصاياهم"<sup>(٤٣)</sup>.

ومّا سبق ذكره، نلخص إلى القول، وبكلّ يقين، أنّ الممارسات الليتورجيّة في القُدّاس الإلهي وشروطها أيضاً، كما مارسها اليوم، هي تجميع ممارسات ليتورجيّة من عدّة جهات من أنحاء البلاد، كان القمّص إرميا النَّاسخ قد دوّنّها في كراريس لمنفعة ابنه، وقد وقعت هذه الكراريس في أيدي أكثر من ناسخ للمخطوطات في القرن الخامس عشر الميلادي. ولكن بعد أن نقل القمّص عبد المسيح المسعودي البراموسي معظم كتاب "التّرتيب الطّقسي" إلى الخولاجي الذي نُشر سنة ١٩٠٢م، صارت الكنيسة القبطيّة اليوم، بما تمارسه من طقس للقُدّاس الإلهي، هي كنيسة القرن الخامس عشر الميلادي فصاعداً. وصارت الممارسات الليتورجيّة للقُدّاس الإلهي والتي كانت تمارس في كنيسة العذراء المعلقة بمصر القديمة - وهي المقر البطريركي للكنيسة القبطيّة على مدى قرنين ونصف من الزّمان تقريباً - في طي النّسيان، وهي ذات الممارسات الليتورجيّة التي كانت تعرفها الكنيسة القبطيّة للقُدّاس الإلهي على مدى أربعة عشر قرناً من الزّمان، باستثناء تغيّرات طفيفة.

وهذا هو السّبب وراء ما نجده في اختلافات واضحة بين ما يذكره ابن كبر (١٣٢٤+) عن الممارسات الليتورجيّة للقُدّاس الإلهي، وما يذكره البابا غبريال الخامس (١٤٠٩-١٤٢٧م) عنها. فمتى نعود إلى بهاء طقسنا القبطي القديم للقُدّاس الإلهي، الذي مارسه سبعة وثمانون بطريركاً من بطارقة الكنيسة القبطيّة؟

٤١ - مع إضافة الهمزة والشّدة.

٤٢ - أنبا غبريال الخامس، التّرتيب الطّقسي، مرجع سابق، ص ١٨٠

٤٣ - نفس المرجع، ص ٣